

هذا الحصار لم يزد المؤمنين إلا ثقةً بموعد الله عز وجل ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ أما المنافقون: لما رأوا الأحزاب وتجمعهم وظنوا أن الدائرة ستكون على المسلمين قالوا: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ وكان قائلهم يقول: "محمد يعدنا أننا سنفتح قصور كسرى وقيصر وأحدنا من الخوف لا يستطيع أن يقضي حاجته"

درس: تمر الأمة اليوم بشدائد لم تمر بها قط من قبل فالمؤمنون يقولون: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ولا تزيدنا هذه المحن إلا يقيناً بأن دين الله منصور ولكن يجب علينا أن نبحث عن وسائل النصر وأن نتجنب أسباب الإخفاق وتسلط الأعداء علينا التنازل التفرق العداوة إلى آخره وحينئذ يأتي النصر بتحقيق أسبابه

دام الحصار شهراً ولم يكن بينهم قتال لأجل ما حال الله به من أمر الخندق بين المسلمين وبين الأحزاب عموماً لكن حصلت مناوشات في أطرافه فحاول بعض فوارس الكفار مثل ابن قمئة وعكرمة بن أبي جهل قبل أن يسلم وغيرهم أن يدخلوا مع هذه الفتحات لكن كانت جنود المسلمين لهم بالمرصاد حتى أن علي بن أبي طالب لما قابل ابن قمئة وقد قارب المائة قال: أنا لا أريد أن أقتلك أنا توكت شاب صغير، قال: ولكني والله أحب أن أقتلك يا عدو الله، فنزل له علي وقتله وفرت بقية الفوارس راجعين خائبين كان شعار المسلمين "حم، لا يُنصرون"

ثلاثة آلاف امام عشرة آلاف وفي منطقة ضيقة وصغيرة لو نفذ هذا الجيش من أي فتحة لاستأصلوا المدينة ومع ذلك لم تقع من أصحاب النبي ﷺ وحاشاهم أي خيانة وأي غدرة

طال الأمد على المشركين وبدأت المؤن الأزواق تنفذ وزاد القلق في نفوس الأعداء وأشد ما تكون الهزيمة حينما تبدأ من الداخل وبدأت رياح الهزيمة المعنوية تدب في نفوسهم منذ أن بدأت الرياح تقلب قلوبهم وتقتلع خيامهم وأرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان من أجل أن يستطلع الخبر في قصة مشهورة فجاءهم بالخبر فلما أصبح النبي ﷺ بعد أن أرسلت عليهم الرياح انكفأ جيش المشركين منهزماً راجعاً خاسئاً لم يظفر بشيء حتى إنه لم يذكر أن هناك أحد من الصحابة ﷺ قُتل في تلك المعركة بخلاف من قُتل من المشركين

وطال الحصار ثم حصل ما حصل من الشدة الخوف على الطائفتين

فلما أصبح النبي ﷺ وقد انفلت جموع المشركين رجع ﷺ إلى المدينة وقال له جبريل: "وضعتم السلاح؟" قال: «نعم» قال: "أما نحن فلم نضع السلاح بعد اغدوا إلى بني قريظة" فلا بد أن يؤدبوا على خديعتهم وعلى نقضهم العهد وبالفعل نهض النبي ﷺ وقال لأصحابه القصة المشهورة: «لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة» وحصل ما حصل من اجتهد الصحابة ﷺ في صلاة بعضهم في الطريق وبعضهم صلاها بعد المغرب كل منهم أخذ مأخذاً

فأعطى النبي ﷺ الراية علي بن أبي طالب وحاصروهم خمساً وعشرين ليلة فلما اشتد الحصار عليهم عرض عليهم كعب بن أسد سيد بني قريظة ثلاثة خصال: الأولى: إما أن يسلموا ويدخلوا مع النبي ﷺ وإما أن يقتلوا ذراريهم ويخرجوا بدون شيء حتى يُقتل آخرهم وإما أن يهجموا على النبي ﷺ وأصحابه يوم سبت لأن الصحابة سيكونون حينئذ آمنين فاليهود لا يقاتلون يوم السبت فرفضوا كل هذه العروض ولم يعطوا سيدهم منها شيئاً

وأرسل إليهم النبي ﷺ أبا لبابة بن عبد المنذر وحصل ما حصل في قصة بسطها الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى

غزوة بني قريظة

أسلم في تلك الفترة بعض هؤلاء اليهود ثم نزل بنو قريظة على حكم النبي ﷺ في الأخير فقالت الأوس: قد فعلت في بني قينقاع ما قد علمت وهم حلفاء إخواننا الخزرج وهؤلاء موالينا، فقال لهم: «ألا ترضون أن يحكم فيهم رجلٌ منكم؟» قالوا: بلى فأنزلهم على حكم سعد بن معاذ [?] فحكم فيهم بأن تُقتل مقاتلتهم وتُسبى ذراريهم ونسائهم فشهد النبي ﷺ بأنه حكم الله من فوق سبع سماوات فقتل ﷺ منهم قرابة الستمائة وقيل سبعمائة يهودي ولم يستبق إلا النساء والاطفال منهم سلم محمد بن كعب القرظي [?] فصار من الصحابة [?] وقسم النبي ﷺ أموال هؤلاء بين المسلمين للراجل سهم وللفراس ثلاثة أسهم

سعد بن معاذ

أصابه في أسفل قدمه جرح كواه النبي ﷺ على إثره لكنه لم ينتفع [?] بذلك ولكن قال أمنية واحدة: لا تمنني حتى تشفيني من بني قريظة، الذين هم مواليه السابقين، لكنهم نقضوا العهد

لما حكم فيهم قال: «اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها وإن كنت رفعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها» وسبحان الله مات [?] بعد أن أصدر هذا الحكم وعمره ست وثلاثين سنة فقط قضى منهم سبع سنوات فقط في الإسلام فأخبر النبي ﷺ أنه اهتز لموته عرش الرحمن

غزوة بني الحارث

وقعت في جمادى الأولى في السنة السادسة من الهجرة ويقال لها «غُرَان» لأن الموقع التي وقعت فيه «غُرَان» وهو بعد «خَلِيس» قرب قرية تُسمى «المقر» تبعد عن مكة تسعين كيلو تقريباً اسمها القديم يُعرف بـ«الأزرق» ويبعد عن «عُسفان» خمسة كيلو

وذو قرد هذا جبل أسود بأعلى وادي النقرة تقريباً خمس وثلاثين كيلو شمال شرق المدينة، والغابة ست كيلو فقط عن الحرم تُعرف اليوم بالخليل

غزوة ذي قرد

بعد قدوم النبي ﷺ إلى المدينة لبالي أغار عيينة بن حصن في بني عبد الله بني غطفان على لقاح للنبي ﷺ التي في الغابة فاستاقها وقتل راعيها وأسر المرأة فلحق بهم سلمة بن الأكوع [?] وكان رجلاً عداءً قوياً حتى إنه قال: «أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرُّضْع» اليوم يوم اللثام، فلحق بالابل كلها فاستقاها وأرجعها وهم في الطريق راجعون بعد خمسة وثلاثون كيلو وكان رجلاً عداءً قال النبي ﷺ: «خير رجالنا اليوم سلمة، وخير فرساننا أبو قتادة» ونحر النبي ﷺ جزوراً في الطريق وأطعم الصحابة [?]

بنو المصطلق هم القبيلة التي غزاها النبي ﷺ وتسمى المريسيع باعتبار الموضع والمكان الذي جاءهم فيه النبي ﷺ وهو ماء لخزاعة يقع بين وادي قديد الذي يبعد عن مكة مائة وعشرين كيلو ويبعد عن المدينة ثلاثمائة كيلو

وقعت في شعبان في السنة الثامنة من الهجرة وقيل غير ذلك

غزوة بني المصطلق أو غزوة المريسيع

سبا النبي ﷺ جويرية بنت الحارث [?] أم المؤمنين [?] وبركتها جويرية [?] كما تقول عائشة: «ما رأيت امرأة أكثر بركةً على قومها من جويرية» إذ لما سبها [?] ثم أعتقها وتزوجها فأعتق الصحابة [?] كل السبايا الذين عندهم وقالوا: لا نأسر أصهار رسول الله ﷺ فكانت مباركةً على قومها

قال سيد المنافقين: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» وحصلت القصة المشهورة

في هذه الغزوة

وقعت قصة الإفك ومن أبرز الدروس التي تُستفاد منها أن أعظم الناس بلاءً الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأعظمهم بلاءً رسولنا ﷺ فصبر وأن الله [?] إذا أراد رفعة إنسان ابتلاه وهذا الابتلاء قد يكون جسدياً وقد يكون نفسياً، والنفس قد يكون أعظم وأشد على الإنسان وخاصةً إذا كان هذا الابتلاء في تشويه عرضه وفي هذا أيضاً من الدروس أن المنافقين في كل عصر لا يألون جهداً في تشويه سمعة أهل الإيمان وخصوصاً منهم أهل العلم والدعوة وكذلك أيضاً الغلاة الذين ابتليت الأمة اليوم بهم، تجددهم يسعون إلى إسقاط قيمة العلماء في نفوس الناس ومنها دروس الإفك الثاني والتثبت مع الزوجة أو العكس فيما لو وصلته تهمة ما يستعجل النبي ﷺ قال لها: «يا عائشة إن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وإن كنت صادقة فسيبرؤك الله» وكانت صادقة وبرأها الله من فوق سبع سماوات وأظهر الله كرامتها وأنزل في شأن الإفك ست عشرة آية جعلها الله [?] عزةً وكرامةً لعائشة [?] ولنبينا ﷺ وذماً ولعنةً على المنافقين

وقعت في السنة السادسة من الهجرة وموقعها حالياً منطقة "السميشي" على يسارك وأنت خارج من مكة متجه إلى جدة

خرج النبي ﷺ في قرابة ألف وأربعمائة رجل من أصحابه فلما وصل ﷺ عُسْفان وهي تقريباً ثمانين كيلو من مكة علم بخروج قريش لتصدّه عن البيت وتمنعه من الدخول فسلك ﷺ طريقاً نحو الساحل حتى وصلوا إلى الحديبية مدة إقامتهم كانت نحواً من عشرين ليلة فأرسلت قريش خمسين فارساً لمهاجمة المسلمين لكنهم وقعوا في الأسر فأطلق النبي ﷺ سراحهم تأكيداً لصدقه وأنه إنما أتى ليعتمر لا ليقاتل وإلا لو قتلهم فجاءت المفاوضات بينه وبين قريش وعلى رأسهم كان من الحضور سهيل بن عمرو

أن يرجع المدينة ولا يعتمر هذا العام

أنه من جاء من المشركين إلى المسلمين يرجعه المسلمون ومن جاء من المسلمين إلى المشركين فإنهم لا يرجعونه وهذا الشرط وجد المسلمون فيه مشقة ورأوا أن فيها هضماً لحقهم ومنزلتهم قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله ألسنا المسلمين؟ قال: «بلى» قال: أليس المشركين؟ قال: «بلى» قال: فلم نعطي الدنية في ديننا؟ فقال رسول الله ﷺ: «إني رسول الله ولست أعصيه» وقال: يا رسول الله ألم تعدنا أننا سنأتي البيت ونطوق؟ قال رسول الله ﷺ: «هل قلت لك: إنك ستأتيه العام؟» قال: لا، قال: «أما إنك آتية ومطوفٌ به» وهنا استقر وهذأت نفس عمر، وأكثر المسلمين والعجيب أن عمر [?] جاء إلى أبي بكر قبل أن يأتي إلى النبي ﷺ وقال: يا أبا بكر ألسنا المسلمين ألسنا على الحق؟ أليسوا هم المشركين؟ وكانت نفس إجابات النبي ﷺ قبل أن يسمعها ولهذا الموقف وغيره يُسمَّى أبو بكر "الصديق" قال عمر [?]: فعلت لذلك أعمالاً، يعني شرعت أنني أخطأت حينما كنت بهذه الحماسة، عمر هو عمر ومع ذلك ما استفرد برأيه وإنما جاء يعرض على أبي بكر لأنه أكبر منه وأعلم منهثم جاء يعرض على النبي ﷺ فأخبره النبي ﷺ أنه على الحق

من شروط الصلح

غزوة الحديبية

أن يعتمر النبي ﷺ من العام المقبل وليس معه إلا جلابان السلاح وهو جراب السيف

ألا يقيم إذا اعتمر أكثر من ثلاث أيام

هدنة الحرب عشر سنوات

لما انتهى الصلح جاء أبو جندل [?] من مكة إلى الحديبية فقال سهيل: هذا أول ما نقاضيك عليه يرجع إلينا أبو جندل ، فأمره النبي ﷺ أن يرجع وقال: لا أستطيع بعد ما وقّعنا الاتفاقية مادام اتفقنا وتعاقدنا لا نخيس بالعهد لا نغدر، فهرب أبو جندل مع أبي بصير إلى سيف البحر في قصة معروفة

لما انصرف ﷺ من صلح الحديبية أنزل الله [?] سورة الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ وأكد [?] بأنه فتحاً وأي إبانة عن فتح في هذه الشروط التي ظاهرها هضم ولكن الله [?] أوحى إلى الرسول ﷺ وهو العليم بمآلات الأمور فكان فعلاً هذا فتحاً حتى إن ابن مسعود قال: "إننا لا نسمى الفتح إلا فتح الحديبية" ويبقى الفتح الأصلي هو فتح مكة ولهذا بعض العلماء يفرّق بين ما ورد في القرآن الكريم مُكْرَراً أنه صلح الحديبية وما جاء مُعْرَفً، فهو فتح مكة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ هذا فتح مكة

في شهر محرم من السنة السابعة من الهجرة وهي أرض زراعية تقع قرابة مائة وسبعين كيلو شمال المدينة

خرج إليها النبي ﷺ وحاصرها حصناً حصناً حتى فتح الله [?] عليه وكان جملة من كان في غزوة خيبر هم من حضر في الحديبية

الصلح الذين قبله يهود خيبر: أن يعملوا في المزارع ونصف ما يخرج من هذه البلد لهم، ونصفه للمسلمين فقال النبي ﷺ في شروط الصلح: «نبيكم فيها ما شاء الله» فجعل الأمر إليه ﷺ ولم يعطهم هدنة مفتوحة لأنه علم ﷺ بتعليم الله له أن الأمور ستؤول إلى طرد هؤلاء من خيبر وتخليص هذه المنطقة كلها لتكون بلداً إسلاميةً محضةً والحكم فيها للإسلام بغض النظر عن وجود ناس من أهل الكتاب

غزوة خيبر

غزوة خيبر

محاولة تسميم
النبي ﷺ

وفي هذه الغزوة سُمِّت امرأة يهودية اسمها زينب بنت الحارث شاة وأهدتها إلى النبي ﷺ فأخبره الذراع الذي أكل منه أنه مسموم فكفَّ عن الأكل فقال النبي ﷺ: «ما حملك على ما صنعت؟» قالت: إن كنت نبياً فسيخبرك الله وإن لم تكن نبياً استرحنا من شرك، فلما قُتِل البراء بن معرور بسبب هذه الشاة قتلها بالبراء [?] على سبيل القصاص

استشهد من المسلمين بخيبر نحو العشرين

عودة مهاجري الحبشة والأشعرين

فلما انتهت غزوة خيبر قَدِم جعفر بن أبي طالب وقدم أبو موسى الأشعري وقدم أبو هريرة [?] في جملة آخر أفواج الصحابة الذين بقوا في الحبشة حتى روي عنه ﷺ أنه قال: «لا أدري بأيهما أفرح؟ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر»

فتح

"فدك"

وهي قرية في الحجاز بينها وبين المدينة قرابة خمسين كيلو تقريباً وهذه أيضاً مما لم يقع فيها قتال فقسمها النبي ﷺ حيث شاء

وادي
القرى

وادي القرى سيقابلك وأنت ذاهب إلى العلا وتجد الجبال فيه بشكل عجيب جداً جبال ضخمة جداً وفيها ذكر النبي ﷺ قصة الرجل الذي جاءه سهم غرب يعني غادر فقتله فقال الناس هنيئاً له الشهادة فقال: «كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلَّها» مثل المشلح الذي يلبسه الناس عندنا «لتلتهب عليه ناراً» لأنها أخذها قبل أن تُقسم الغنائم

وقعت في شهر ذي القعدة من السنة السابعة

سميت عمرة القضاء لأنها قضاء للعمرة التي حدث فيها صلح الحديبية، وبعضهم يقول: إن المقصود بهذه العمرة التي قاضى عليها قريشاً والمعنى واحد كما ذكر ابن كثير وبعضهم يسميها عمرة القصاص وهذا قليل

عمرة القضاء

سار النبي ﷺ حتى بلغ مكة فاعتمر وطاف بالبيت وتحلل من عمرته وتزوَّج في تلك الزيارة ميمونة بنت الحارث الهلالية هذه خالة ابن عباس [?] وخالة خالد بن الوليد والصواب أنه تزوجها حالاً وليس كما قال ابن عباس أنه تزوجها وهو مُحْرَم فإن ابن عباس كان صغيراً ولم يضبط القصة

وهذا الخلاف في كونها تزوجها وهي محرمة أو حلال سبب لخلاف أهل العلم هل يجوز عقد النكاح على المحرمة أم لا؟ مذهب أبي حنيفة أخذ بحديث ابن عباس وجمهور أهل العلم أخذوا بحديث ميمونة التي أخبرت أن النبي ﷺ تزوجها وهي حلال وكذلك قول أبي رافع [?]

وتمت الثلاثة أيام فقالوا لعلي: قل لصاحبك يخرج من مكة فخرج ﷺ حتى ما أمكنوه أن يبني بميمونة فبنى بها بسرٍ وهي بلد على مكة من مسافة قريبة وليست بعيدة

غزوة مؤتة

لم يشهدها النبي ﷺ إلا أنها لما كانت بأمره دخلت ضمن الغزوات النبوية وكانت في السنة الثامنة من الهجرة

مؤتة موقعها الآن تقريباً الوسط الغربي للأردن واسمها مازال موجوداً اليوم

سببها أن جمع من المسلمين غدر بهم في تلك النواحي فأراد النبي ﷺ أن يثأر لقتلهم فبعث الجيش وأمر عليهم زيد بن حارثة قال: «فإن قُتِل فالأمير جعفر فإن أُصيب فعبد الله بن رواحة»

انطلق الجيش في ثلاثة آلاف ودَّعهم النبي ﷺ إلى بعض الطريق وكان وداعه ﷺ كأنه وداع المودع إلى غير رجعة

فلما كانوا بمعان وهي مدينة معروفة اليوم في الأردن بلغهم أن هرقل ملك الروم خرج إليهم في مائة ألف ومعه عدد من قبائل النصارى العرب الذين كانوا في شمال الجزيرة كقضاة وبعض بقايا بلي وغيرها من القبائل فهناك تشاور المسلمون هل يكتبون للنبي ﷺ يطلبون مددا أم يقاتلونهم بما معهم من العدد والعدة؟ فقالوا: إنكم لم تخرجوا إلا دفاعاً عن دين الله وطلباً للشهادة، فاستقر رأيهم على أن لا يكتبوا شيئاً فتقدموا والتحم الجيشان فقاتل زيد [?] وقتل ثم أخذ جعفر بن أبي طالب الراية بيمينه فقطعت ثم أخذها بيساره فقطعت ثم احتضنها [?] حتى قُتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وقتل وكان النبي ﷺ ينعيمهم أي يخبر بموتهم والدموع تذرف على خديه الشريفين قال: «أخذ الراية رجلٌ فتح الله على يديه» فأخذ الراية خالد بن الوليد وكان قد أسلم قريباً وكان كما وصفه النبي ﷺ سيف من سيوف الله عز وجل وانحاز بالمسلمين لما رأى أن الأمر الآن يقترب من استئصال المسلمين وأنه لا طاقة للمسلمين الآن بالاستمرار في المعركة خصوصاً بعد تأثرهم المعنوي بعد أن قُتل القواد الثلاثة ومن انحاز وحيد المسلمين ليحقن بقية الدماء لا يعتبر فاراً ولذلك الله [?] قال: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَفَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ وخالد [?] تحييز وحقق ما بقي من دماء المسلمين فسمَّ النبي ﷺ تحييزه هذا فتحاً

وجاء الليل فكف الكفار عن القتال ومع كثرة هذا العدو وقلة عدد المسلمين بالنسبة إليهم لم يقتل من المسلمين خلق كثير فإن أهل السير لم يذكروا إلا نحو العشرة أمام مائة ألف أو ستين ألف من المشركين وهذه من كرامات الله [?] قال [?]: ﴿كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وكرَّ المسلمون راجعين ووقى الله شرَّ الكفرة وله الحمد والمنة